القِصَّة الخامسة

صاحِبُ السَّحابةِ

كان فى قديمِ الزَّمان رَجُلٌ مِنَ المَشْهُورِينَ بالعِبادَةِ ، المَوْصُوفينَ بالقَناعَةِ والزَّهادَة ، وكانَ إذا دَعا رَبَّه أَجابَه ، وإذا سأَلَهُ أَعْطاه ، وحققَ لهُ مُناه ، يَعيشُ فى الْجِبال ، ويَقومُ اللَّيْل ، وكانَ اللهُ قَدْ سَخَّرَ لهُ سَحابةً تَسيرُ مَعَهُ حَيْثُ يَسِيرُ ، وتَسْكُبُ عَلَيْه ماءً طاهرًا عذباً فَيَتَوَضَّأُ ثمَّ يَشْرَبُ .

اسْتَمَرَّ هكذا حتَّى اعْتَرَاهُ فُتُورٌ فى العِبادةِ فى بَعْضِ الأَوْقاتِ ، فأَزالَ اللهُ عَنْهُ سَحابتَهَ ، وحَجَبَ عَنْهُ إجابَتَه ، فَكثُرَ لِذلكَ حُزْنُه ، وطالَ كَمَدُه [1] وكَدَرُهُ ، وما زالَ يَشْتاقُ إلى السَّحابَةِ الَّتى مَنَّ اللهُ بها عَلَيهِ ، ويَتَحَسَّرُ ويَتَأَسَّفُ ، فَنامَ لَيْلَةً مِن

(١) حزنه .

اللَّيالِى ، فَسمعَ مَنْ يَقُولُ لهُ فى نومِهِ : إنْ شِئتَ أَنْ يَرُدَّ اللهُ إلَيكَ سَحابَتَكَ فَتَوَجهْ إلى الْمَلِكِ الفُلانىِّ فى بَلَدِ كذَا ، واسْأَلْهُ أَن يَدْعُوَ اللهَ لكَ ؛ حتَّى يَرُدَّها اللهُ عَلَيْكَ ، ويَسُوقها إلَيكَ ، ببَرَكَةِ دَعَواتِه الصَّالِحاتِ.

فَلَما أَقْبلَ الصباحُ سارَ الرَّجُلُ يَقْطَعُ الأَرْضَ ، حتَّى دَخلَ البَلْدَةَ الَّتى ذُكِرَتْ لَهُ فى المنامِ ، فَسَأَلَ عَن الملِكِ ، فَدُلَّ عَلَيهِ ، فَسارَ إلى قَصْره ، فَإذا بالبابِ غُلامٌ جالِسٌ على كُرْسِىٍّ عَظيمٍ ، ويَلْبَسُ مَلابِسَ جَميلَةً ، فَوَقفَ الرَّجُلُ وسَلَّمَ ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ ، وسأَلَهُ ما حاجَتُك ؟

فأَجابَ : إنِّى مُحْتاجٌ لِلقاءِ الملِكِ ، وقَدْ جئتُ لِأَرْفَعَ قَضِيتِى إلَيْهِ .

فَقالَ الغُلامُ : لا سَبيل لكَ اليَوْمَ إلَيْه ؛ لِأَنَّهُ قد جَعَل لِلشَّاكِينَ فى الأُسْبوعِ يَوماً يَدْخلُونَ عَلَيهِ فيهِ ، وهُوَ يَوْمُ كَذا ، فانتظِرْ حتَّى يأْتىَ ذلكَ اليَوْمُ . . .

فَأَنْكَرَ الرَّجُلُ عليه تَحَجُّبَه وبُعْدَهُ عن الناس ، وقالَ : كَيْفَ يكونُ هذا وليًّا مِنْ أَوْلياءِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وهوَ على هذه الحال ؟ وذهبَ يَنْتَظِرُ اليَوْمَ الَّذِى حدِّدَ له .

فَلَمَّا كَانَ ذلكَ اليَومُ دَخلَ فوجَدَ لَدَى البابِ أُناساً يَنْتَظِرونَ الإِذْنَ لَهُمْ بِالدُّخولِ ، فَوَقَفَ مَعَهُمْ إلى أَنْ خَرَجَ أَحَدُ الوُزَراءِ ، وبَيْنَ يَدَيْهِ الْخَدَمُ والْعَبيدُ ، فقالَ : لِيَدْخُلْ أَصحابُ الحاجات ، فَدَخَلوا ، ودخلَ صاحبُ السَّحابةِ فى جُمْلتِهم ، فإذا المِلكُ قاعِدٌ وبَيْنَ يَدَيهِ كِبارُ مَمْلَكتِهِ عَلَى اختلافِ مَراتبِهم .

فَوقَفَ الْوَزيرُ ، وجَعَلَ يُقَدِّمُ الواحِدَ مِنْهُم بَعْدَ الآخَرِ ، حتَّى وصلت النَّوْبةُ إلى صاحبِ السحابةِ ، فَلَمَّا قَدَّمَهُ الوَزيرُ نَظَرَ إليهِ المِلكُ وقالَ : « مَرْحَباً بِصاحبِ السَّحابَةِ . اجْلِسْ حتَّى أَفْرُغَ لكَ » . فَتَحير مِنْ قَوْلِه ، واعْتَرَفَ بِمَنْزلَتِهِ عِنْدَ اللهِ وفَضْلِه ، فَلَمَّا انْتهَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الرَّعِيَّة ، وفَرَغَ منَ

الملك يقضي بين الناس بالعدل وقد وقف الوزراء حوله

الشَّكاياتِ قامَ ، وقامَ الوَزيرُ ورِجالُ الدَّوْلةِ ، ثمَّ أَخذَ المِلكُ بِيَدِ صاحبِ السحابَةِ ، وأَدْخَلهُ القَصْرَ ، فَوَجَدَ على بابِهِ عَبْدًا أَسْوَدَ ، وفَوْقَ رأْسِهِ أَسْلِحةٌ ، وعَنْ يَمينِهِ وشمَالِه دُروعٌ وسُيوفٌ .

قالَ صاحبُ السحابة :

فَفَتَحَ العَبْدُ بابَ القَصْر ، فدخلَ المِلك ، ويَدى فى يَدِه ، فإذا بَيْنَ يَديهِ بابٌ قَصيرٌ ، ففَتَحَهُ المِلكُ نَفْسُهُ ، ودخلَ خَرِبةً وبِناءً كَبيرًا ، ثمَّ دَخلَ حُجرةً لَيْسَ فيها إلَّا سجَّادَةٌ وقَدَحٌ لِلْوُضُوءِ ، وشَىْءٌ مِنَ الخوص ، ثمَّ خَلَعَ ثِيابَه الَّتى كانَتْ عَلَيهِ ، ولَبِسَ جُبَّةً خَشِنَةً من الصُّوفِ الأَبيض ، وجَعَلَ على رَأْسِه قَلَنْسُوَةً من اللِّبْد ، ثمَّ جَلَسَ وأَجْلَسَنى ، ونادَى زَوجَته ، فقالتْ لهُ : لَبَّيكَ ، فَسَأَلها : أَتَدْرِينَ مَنْ ضَيْفُنا فى هذا اليَوْمِ ؟

فَأَجابتْ : نَعمْ هوَ صاحبُ السَّحابةِ .

فقالَ لها : أُدخُلى . فإذا هى امرأَةٌ كأَنَّها الْخَيالُ ، وَوَجْهُها يَتلأْلأُ كالهلالِ ، تَلْبَسُ جُبَّةً منَ الصُّوفِ ، وعَلَيْها القِناعُ [١] .

ثمَّ قالَ الملِكُ : أَتُريد يا أَخى أَنْ تَعرفَ خَبَرنا أَوْ نَدْعُوَ لكَ وتَنْصَرِفَ ؟

قال الضَّيفُ : بل أُريدُ أَنْ أَسمَعَ خَبَرَ كُما فإِنِّى فى شَوْقٍ إِلَيْه .

فقالَ لهُ : لَقَدْ كانَ آبائى وأَجدادِى يَتداوَلون المملكةَ ويَتوارثونَها إلى أَنْ ماتوا ، ووَصل الأَمْرُ إِلىَّ ، فَبغَّضَ اللهُ ذلك لى ، وأَردْتُ أَنْ أَسِيحَ فى الأَرضِ ، وأَتْرُكَ أَمْرَ النَّاس لأَنفسِهم ، ولكنِّى خِفْتُ عليْهِم الْفِتْنةَ ، وتَضييعَ الشرائِع . وتشتيتَ شمْل الدِّينِ ، فَتركتُ الأَمرَ على ما كان عليهِ ، وجعَلتُ لكُلِّ فرد نَصيباً مُعيَّناً ، ولَبِسْتُ ثيابَ المُلْكِ ، وأَجلَسْتُ

(١) القناع : أوسع من المقنعة ، والمقنعة : ما تقنع به المرأة رأسها .

العبيدَ على الأبوابِ إرهاباً وتخويفاً لأهلِ الشرِّ ، ودِفاعاً عن أهلِ الخيْرِ ، وإقامةً للحدودِ . فَإذا فرغْتُ من ذلكَ كُلِّهِ دخلْتُ مَنْزِلى ، وأَزَلْتُ هذه الثِّيابَ ، ولَبِسْتُ ما تَرَى ، وهذهِ زَوْجتى وابنةُ عَمِّى ، قَدْ وافقتْنى على الزُّهدِ والقناعَة ، وساعدتْنى فى العِبادة ، فَنصوم ونَعمَلُ من هذا الْخُوصِ نَهارًا ما نُفْطِرُ بِثمنِه لَيْلًا ، وقد مضَى عَليْنا ونحنُ على هذه الحَال نَحْوُ أَرْبَعينَ سَنةً ، فَأَقِمْ مَعناحتَّى نَبيعَ خوصَنا ،وتُفْطِرَ مَعنا ، وتَبيتَ عِنْدَنا ، ثم تَنْصرفَ بحاجَتِكَ إنْ شاءَ اللهُ تعالى.

فَلَمَّا كانَ آخِرُ النَّهارِ أَتَى غُلامٌ ودخلَ ، فَأَخذَ ما عَمِلاَهُ منَ الخوصِ ،وسارَبه إلى السُّوقِ ،فَباعهُ واشْتَرَى بثمنه خُبْزًا وفُولًا ، وأَتَى بهِما ، فأَفطَرْتُ معهُما ونِمْتُ عِندَهما.

فَقاما مِنْ نِصْف اللَّيْلِ يُصَلِّيانِ وَيَبْكِيانِ ، فَلمَّا كانَ الفَجْرُ قال المَلِكُ : « اللَّهُمَّ إن هذا عَبدُكَ ، يَطَلبُ مِنكَ أَنْ تَرُدَّ سَحابتَهُ إليه، وأَنتَ على كُلِّ

شَيءٍ قديرٌ .اللَّهُمَّ أَجِبْ دَعوتَهُ ،وارْدُدْ عليه سَحابتَهُ ».
فَأَمَّنتْ زَوْجتُهُ .وقالت : « آمين ، اللهمَّ اسْتَجِب ».

فإذا السَّحابةُ فى السَّماءِ ، ففرِحْتُ واغتَبطتُ وَسُرِرتُ . وَوَدَّعتُهُما وانْصَرَفت ، والسَّحابةُ تَسيرُ مَعِى كما كانتْ .

(ا) أسئلة فى القصة :

(١) كيف كان الرجل الصالح يعيش ؟
(٢) لماذا أزال الله عنه سحابته ؟
(٣) كيف ردّ الله إليه سحابته ؟
(٤) هل عرف الملك صاحب السحابة ؟ كيف عرفه ؟
(٥) كيف كان الملك يقضى بين رعيته ؟
(٦) وهل عرفت الملكة صاحب السحابة ؟
(٧) كيف كان الملك والملكة يعيشان ؟
(٨) بماذا شعر صاحب السحابة حينما ردّت إليه سحابته ؟

(ب) رتب الكلمات الآتية ، وكون منها جملة مفيدة :

مظلوم ، رجل ، أنا

(حـ) هات أسئلة للأجوبة الآتية :

(١) جئت إلى الملك لأرفع قصتى إليه .
(٢) قال الملك : اجلس حتى أفرُغ لك .
(٣) فتحَ العبد باب القصر .
(٤) دخل الملك الحجرة .
(٥) لبسَ الملكُ جبةً من الصوف .